القاهرة الجديدة

للأستاذ نجيب محفوظ

بقلم الأستاذ ثروت أباظة

قصة رائعة من صميم الحياة المصرية وضعها الفنان الموهوب الأستاذ نجيب محفوظ ، وقد استهدف فيها عدة آراء عالجها بأسلوب يتفق وكل رأى ، فهو ساخر حيناً ؛ جادٌّ حيناً آخر ، رائع فى الحينين . والأستاذ نجيب ريشة لا تخطئ النأمة الخالجة فى شخصياته ، وهو واثق من فنه فتراه لا يقصر هذه الريشة على شخص واحد بل يطلقها على أشخاص كثيرين يرسمهم فتعرفهم وتعيش معهم وتحس إحساسهم فتصبح شريراً مع الشرير خيّراً مع الخير مندفعاً متأججاً مع المندفع المتأجج .

وشخصيات الرواية مركّزة فى أربعة شبان وفتاة . أما الشبان فتجمعهم رابطة الدراسة فى الجامعة فهم جميعاً فى الليسانس كما يجمعهم اتحاد السكن . ثم تشعب بهم مسالك الخلق فلا مواءمة ولا انسجام ؛ فأحدهم — وهو من طارده الأستاذ نجيب وجعله بطلا لقصته — شاب فى الرابعة والعشرين من عمره ذو منبت بائس وتربية وضيعة تأصلت فى نفسه ، واجتمع الفقران ، ففقدا ولا أصل يتكىء عليه ، ولا مال يتستر به . فكفر بالأخلاق ، وأصبح مثله الأعلى « طظ » التى يلجأ إليها كلما اكفهرت الحياة وأغلقت شعابها دونه . «فطظ» فى الأخلاق ، «وطظ» فى الفضيلة «وطظ» فى القوم ، وليس «طظ» فى شىء واحد هو نفسه ، وعلى هذا النهج سار ، وعن طريقه وصل إلى زوجه وهى فتاة القصة ، وعن سببها تم تعيينه . فهى عشيقة موظف ضخم ، زلّ وأراد أن يتهادى فاتخذ من « الطظ » ستاراً . فقيل قائلا : طظ ...

وهذه الفتاة هى ابنة بائع سجائر مواجه للجامعة ذات أم عاهرة ، ووالد من حزب الطظ محتاج إلى المال لغرض ابنته لتأتى له به . فتمنعت أول الأمر ، وانصاعت لحب عفيف بينها وبين أحد الشبان الأربعة هو على ... شاب جميل ذو أصل ليس بالهين ، ومال يكفيه ذلة السؤال ، له آراؤه الملحدة ، ولكن عن عقيدة ، وله أيضاً مثله العليا التى يسعى لتحقيقها ؛ فهو اشتراكى يفخر بغناه واشتراكيته ، ولا يمنعه الإلحاد ولا الاشتراكية من أن يكون عفيفاً فى حبه ، قوياً فى خلقه ذا نجدة عند الشدة ، وهو بعدُ صافى القلب لا يحمل ضغينة ولا موجدة على عكس زميله محجوب طظ ... أحبت إحسان علياً وإن لم يملك الحب لبها ، وأحبها هو وتمكن الحب منه ، ولكن ما لبث أن فجع فى حبه حين تعرض لفتاته الموظف الضخم الذى أغرى بماله ... فطمع والدها ، وشجع ابنته ودفعها فسقطت وحاولت أن تقنع نفسها أنها إنما تضحى من أجل والديها وإخوتها .. سقطت ووجدت زوجها شاباً ساقطاً لا ضمير له ؛ عرفته أيام كان تلميذاً . فهو صديق لعلىّ ، وهو بعينه الأستاذ محجوب طظ الذى لا مانع لديه من أن يغذى قرنين ينبتان فى رأسه مادام فى الأمر منفعة له ، وطظ فى الكرامة ... تزوجت محجوباً وعُيّن وارتفع وما زال فى ارتفاع سادراً عن كل شىء غير معنىٍّ بأبيه مدقع الفقر الذى أعياه المرض فقعد عن العمل ، ومحجوب مادام لا يهمه الوالد فالأصدقاء لا قيمة لهم ، ولتتقطع وشائج الزمالة ، وليغضب مأمون للأخلاق ما شاء ، وليحزن علىٌّ على حبيبته مادام محجوب يرتفع كل يوم ... وفى نشوة الارتفاع ركل محجوب سالماً الأخشيدى ، وهو الذى قدمه إلى الموظف الكبير ، وقد كان أثيراً عنده قبل أن يأتى محجوب فانتقم الأخشيدى لنفسه ، ودبر المؤامرة فعصفت بالموظف الكبير ، وكان قد أصبح وزيراً ، وعصفت بمحجوب وزوجه فذهب وكأنما أراد الأستاذ نجيب أن يهمس فى أذنه : « طظ فى طظك ، ولتحى الأخلاق ! » .

أما مأمون فشاب ملؤه الإيمان بالدين وبالقضية العربية أخره المرض وهو طفل عن الالتحاق بالمدرسة ، وعندما التحق أخذ نفسه بالشدة ، فكان الأول دائماً ، وكانت حياته سائرة على

نظام رتيب ، وإنك لتجده كل خميس ذاهباً إلى مصر الجديدة حيث خطيبته التي تزوجها بعد حصوله على الليسانس وسافر معها إلى باريس في بعثة علمية .

وأما الرابع فهو أحمد طالب صحفي لايلعب كثيراً على مسرح الرواية ، ولا نعرف له رأياً لأنه صحفي والصحفي في رأيه — ولعل هذا هو رأيه الوحيد الذي أذاعه — لا يصح أن يقول رأياً ، وهكذا اجتمع هؤلاء الأصدقاء وليس من سبب يجمعهم سوى درس في الصباح ومسكن في المساء .

ولا يقتصر الأستاذ نجيب على هؤلاء بل هناك أشخاص كثيرون غيرهم كوالدي محجوب وحمديس بك وأسرته ذات الماضي المتواضع ، والحاضر الارستقراطي ، وإن لمحجوب معها لشأنا في حالي فقره وغناه ، وهناك أيضاً جامعة أعقاب السجاير التي أبرز الأستاذ لها صورة واضحة تلمسها في وصفه لها وحديثها هي مع محجوب فتسمعها تقول : وجب ، وغير ذلك من ألفاظ تكمل الصورة وتوضحها ، وهناك عفت وغيره من أصدقاء محجوب في أيام العز ... تمر الريشة على كل هؤلاء فتبرز معارف وجوههم وخلجات نفوسهم نابضة بإحساسهم غير مغفلة شيئاً .

وتدور حوادث القصة في سنة ١٩٣٠ ، والناحية القصصية فيها أبرز منها في قصة خان الخليلي وقد كانت هذه الأخيرة أشبه بمعرض صور رائع منها بقصة ، وإن لم يفقدها هذا شيئاً من روعتها وقوتها ...

وواضح أن الأستاذ نجيباً أوجد علياً ومأمونا وأحمد في قصته الجديدة ليثبت أن الأخلاق وإن هتكت عند محجوب فهي مصونة عند أصدقائه ، وقد تعرض الأستاذ نجيب في قصته هذه لنواح اجتماعية عديدة يغض من رونقها كثرة ترددها إذ نحن الآن في حاجة إلى العلاج أكثر من حاجتنا إلى الشكوى ، وإن بالقصة لفتات فنية رائعة ننتظرها من الأستاذ نجيب الذي خطا بالقصة المصرية خطوات واسعة نحو الكمال ، وهذا أمر لا نستغربه عليه فهو فنان موهوب بفطرته جشع في القراءة العربية والغربية ... وعسى أن لا يتأخر إنتاجه القادم . فنحن في شوق منتظرون ...

مروت أباظة

نفحات من سيرة السيدة زينب

إن أعصى مايتكاءد المصلحين ، تلك العادات التي امتزجت بدماء العامة ، والعقائد التي أشربتها نفوسهم ، فتمكنت فيها على مر الأيام .

وإنه لن الجهل والسفاهة ، تحدي هذه العادات والعقائد ومهاجمتها في عنف ، بل الواجب علاجها بالحكمة ، والاحتيال لاقتلاعها ؛ أو توجيهها وجهة نافعة .

وقد اتخذ الأستاذ أحمد الشرباصي في كتابه « نفحات من سيرة السيدة زينب » خطة جديدة في « التربية الشعبية » ودرج على غير المنهج المتبع في الثورة بعقائد الناس . بل تناول مسألة الموالد ، والأذكار ، والتوسل ، والتشيع ، والتمسح بالأضرحة ، والنذور ، بروح جديدة ، هي روح عالم النفس الحاذق ، هي روح « الإعلاء » التي تعالج بها الغرائز وتهذب ، ويحد من جموحها وطغواها ، وتجعلها أداة صلاح وخير !

والكتاب بعد ذلك عرض تاريخي أنيق لحياة هذه السيدة الكريمة ، وتوجيه نافع للشباب الذي يريد أن يحيا حياة طيبة ، ولايستخذي أمام القوى الطاغية ومثل عال في التضحية والجهاد .

فللوعاظ والمرشدين وللمؤرخين المعنيين بتحقيق حياة الشخصيات الإسلامية البارزة ، ولمن يريد أن يهتدي بهدى جديد في التربية الشعبية ، ولمن يبتغي الأسوة والقدوة في حيوات عترة النبي الكريم .

لهؤلاء جميعاً وضع هذا الكتاب ، جامعاً بين دقة البحث ، وطلاوة الأدب ، وتأثير الوعظ واستخلاص العبر .

كامل السيد شاهين

مطبعة « الرسالة » تقدم قريباً :

الطبعة الثانية من كتاب

في أصول الأدب

للاستاذ أحمد حسن الزيات